الرسالة

(رومية ١٢: ٦-١٤)

يا إخوةُ إذ لنا مواهبُ مختلفةٌ باختلافِ النعمةِ المعطاةِ لنا فمَن وُهِب النُبوَّةَ فليتنبَّأ بحسبِ النِسبةِ إلى الإيمان* ومَن وُهِبَ الخِدمَةَ فليُلازِم الخِدمةَ والمعلِّمُ التعليمَ* والواعظُ الوعظَ والمتصدِّقُ البساطةَ والمدبِّرُ الإجتهادَ والراحِمُ البشاشَةَ* ولتكنِ المحبّةُ بلا رياءٍ. كونوا ماقتينَ للشرِّ وملتصقينَ بالخيرِ* محبّينَ بعضُكم بعضاً حبًّا أخويًّا. مُبادِرينَ بعضُكم بعضاً بالإكرام* غيرَ متكاسلينَ في الإجتهادِ حارّينَ بالروحِ عابدينَ للرب* فرِحينَ في الرجاءِ صابرينَ في الضيقِ مواظبينَ على الصلاة* مؤاسينَ القدّيسينَ في احتياجاتِهم عاكِفينَ على ضيافةِ الغُرباء* باركوا الذين يضطَهِدونكم باركوا ولا تلعنوا.

المواهب

في الآية التي تسبق مباشرة نص الرسالة المتلو علينا في الكنيسة هذا الأحد، يقول القديس بولس: «فإنه كما في جسد واحد لنا أعضاء كثيرة، ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد، هكذا نحن الكثيرين جسدٌ واحد في المسيح وأعضاء بعضاً لبعض كل واحد للآخر» (رو ١٢: ٤-٥). بهذه الآية يؤسس الرسول لتعليمه الآتي في الآيات التالية، متخذاً مرة أخرى مثال الجسد البشري وتكامُل الأعضاء فيه، على كثرتها وتنوع وظائفها. نقول «يؤسس» لأنه، وقبل الخوض في مسألة المواهب، أراد بهذا المثل الحسي على تكامل الأعضاء ضَرب عقدتين أساسيتين: التكبر والتعالي لدى من ظن نفسه هاماً وذا شأن، وعقدة النقص لدى من ظن نفسه تافهاً أو هامشياً. في الجسد البشري، أهمية الأعضاء ليست في تفردها الواحد عن الآخر بل في تكاملها في الكنيسة، ودعوة الكنيسة في العالم أن تكون نواة التقديس لا لجماعتها الداخلية وحسب بل للخليقة بأسرها. أولاً نحن كلنا (الصغير مع الكبير) أعضاء الواحد مع الآخر، وثانياً كلنا جسد واحد.

ثم يبدأ الرسول بالحديث عن المواهب مشدداً على أنها «مختلفة باختلاف النعمة المُعطاة لنا» ليقول أن مهما كان فينا من مواهب، فهي عطايا مجانية من الله (النعمة) لا فضل لنا في اكتسابها البتة... حتى ولو كنا غالباً ما نتوهّم عكس ذلك. ولعل عبارة «مختلفة» تلغي كل إيحاء بتفاوت الأهمية بين المواهب، والرسول لم يقل «لنا الواحد مواهب كبرى والآخر صُغرى» بل «لنا مواهب مُختَلفة». وطالما أن الكل جسد واحد، بديهي أن لا يُعطى للكل نفس المواهب، وحتمي أيضاً أن لا يتكابر عضو على الآخر. أكثر من ذلك، سوف نرى في ما بعد كيف أن المواهب كلها، مهما كانت، ليست غاية بحد ذاتها بل وسيلة إلى اقتناء الفضيلة. لأجل هذا، إنّ الفضائل التي يسعى الإنسان إلى اقتنائها بإيمانه وإرادته وجهده، هي أعظم من المواهب الممنوحة له مجاناً من الله. أما عبارة «بحسب النسبة إلى الإيمان» فطبعاً لا تنحصر بموهبة النبوءة بل لعلها تفسر «اختلاف

العدد ٢٠١٥/٢٨

الأحد ١٢ تموز

تذكار الشهيدين بروكلس وإيلاريوس

اللحن الخامس

إنجيل السَحَر السادس

المواهب» إذ تضع بين مقدار إيمان الإنسان وطبيعة الموهبة المعطاة له رباطاً وثيقاً. من جهة أخرى، تشير «النسبة إلى الإيمان» إلى أهمية استعمال الموهبة بحسب الإيمان أي وفقاً لما يُرضي الله.

بعد أن بدأ الرسول بتعداد مواهب ذات طابع وظائفي مُحدد، النبوءة والخدمة والتعليم والوعظ، يُضيف إليها الصَدَقة والرحمة والمحبة جاعلاً الكل سلة مواهبية واحدة إذا جاز التعبير. وكأننا به يعود إلى مسألة اختلاف المواهب لنفهم أمرين: ما من واحد ليس موهوباً من الله، والأساس ليس نوع الموهبة بحد ذاتها بل كيفية ممارستها. أي إن أعمال الخير كلها، مهما عظمت، لا تنفع صاحبها إن لم تُعمَل بحسب ما يُرضي الله. «فليلازم (...) المتصدق البساطة والمدبر الاجتهاد والراحم البشاشة» يعني أن العطاء لا يُثمر إن لم يكن بعفوية أي بسهولة، من قلب دائم الاستعداد للعطاء. أي أن تُعطي الآخر وكأنك تُعطي ذاتك، ولن نغالي إذا قلنا بل وكأن الآخر يُعطيك. أمام الله العطاء لا يُقاس بالكمية بل بالنوعية، إذذاك يكون كل إنسان قادراً أن يعُطي إن أراد، مهما كانت إمكاناته. ألَم يُحسَب فلس الأرملة أثمن من كل عطايا الأغنياء (مرقس ١٢: ٤١)؟ أما التدبير، أو أي شكل من أشكال المسؤولية، فباجتهاد أي بحماسة بل وبحرص دائم وشديد على مصلحة وخير من أوكِلَ إليك تدبيرهم. إن لم يجتهد رب العائلة في التدبير، أي في مسؤولياته تجاه عائلته، تنهار. كذلك من أوكِل إليه موقع رئاسة أو قيادة، أو كل من ائتُمِن على بَشَر أو أية أمانة أُخرى، هذا إن نسي أن من وهبه موقع التدبير هو الله، يضيع وتضيع معه بل وبسببه الأمانة. أما بالنسبة إلى الرحمة، فبـ «البشاشة» يقول الرسول القديس. إذاً، لا يكفيك أن ترحَم بل لكي تُرضي الله، ولكي تكون رحمتك فضيلة، عليك أن ترحم ليس بلا حزن أو أسف وحسب بل مسروراً. فعدم الحزن والأسف وحده لا يكفي.

ثم يأتي الرسول إلى ذكر المحبة، وهي أم الفضائل أي عملياً أساس السلوكيات التي أوصى بها في الآيات السابقة، مُشدداً على أن تكون «بلا رياء». أي صادقة مُجَرَّدة، لا خلفيات فيها ولا مصالح ولا نوايا مُبيّتة وإلا أصبَحَت خُبثاً وتجارة. ومتى بلغ الإنسان هذه المحبة التي «بلا رياء»، لن يأسف إن أعطى من ماله أو جهده أو طاقته لمحتاج ولن يتأفف إن تعب في خدمة غيره ولن تُثنيه المصاعب والمعوقات في مسؤولياته. وزيادة في التشديد، يُكمل الرسول بولس قائلًا «كونوا ماقتين للشر»، وكلمة «ماقتين» تعني «كارهين بشدة». لم يقُل ابتعدوا عن الشر بل اكرهوه بشدة، لنفهم أن المياعة في مواجهة الشر لا تحمينا منه. غالباً ما نُخطئ ولسنا بالضرورة أشراراً، ولكن بغياب هذا التشدد في الموقف إزاء الشر ننزلق، وأشكال الشر المخفية لا تُعَد ولا تُحصى، فتتزعزع المحبة فينا ومعها كل الفضائل. هنا ينتقل الرسول فوراً إلى النبرة الإيجابية فيقول «ومُلتَصقين بالخير»، وفعل الالتصاق يعني حالة مستمرة وفيه إزاء الخير نفس التشدد الذي أوصى

الإنجيل

(متى ٩: ١–٨)

في ذلك الزمان دخلَ يسوعُ السفينةَ واجتاز وجاء إلى مدينته* فإذا بمُخلَّعٍ مُلقًى على سريرٍ قدَّموهُ إليه* فلمَّا رأى يسوعُ إيمانهم قال للمخلَّع ثِقْ يا بُنيَّ مغفورةٌ لك خطاياك* فقال قومٌ من الكتبةِ في أنفسهم هذا يُجدّف* فعلم يسوعُ أفكارهم فقال: لماذا تفكرون بالشرِّ في قلوبكم* ما الأيسرُ أن يُقالَ مغفورةٌ لك خطاياكَ أم أن يُقالَ قُمْ فامشِ* ولكن لكي تعلموا أنَّ ابنَ البشرِ لهُ سلطانٌ على الأرض أن يغفِرَ الخطايا. (حينئذٍ قال للمخلَّع) قُمِ احملْ سريرك واذهب إلى بيتك* فقام ومضى إلى بيتِه* فلمَّا نظر الجموعُ تعجَّبوا ومجَّدوا اللهَ الذي أعطى الناسَ سلطاناً كهذا.

تأمل

«كونوا ماقتين للشر... فرحين في الرجاء صابرين في الضيق».

وضع الله الحزن داخلنا، لكن ليس لكي نستعمله

من دون هدف أو بشكلٍ مؤذٍ، في وقتٍ غير مناسب أو في حالات مضادّة لطبيعتنا، مزعزعين بذلك صحّة النفس والجسد، بل لكي نجني منه، قدر الإمكان، ربحاً روحياً أكبر. لذلك يجب ألاّ نحزن عندما يحدث لنا أمر سيِّئ، أو بالحريّ عندما نفعل شيئاً سيّئاً. هكذا، عندما نرتكب شروراً لا تُحصى، فإنّنا لا نحزن ولا نخجل، لكن عندما يصيبنا من أحد ما شرٌّ صغير، حينئذٍ نفقد صوابنا ونغضب جدًّا ونتلاشى ولا نفكّر بأنّ الأحزان والشرور تُظهر اهتمام الله بنا أكثر من الحوادث المفرحة...

عليك أن تعلم أيها الإنسان، أنّه، في هذه الحياة، ستكون لديك عذابات وتجارب ومشاكل وشرور عليك أن تواجهها كلّها بشجاعة مستعملاً الإيمان والرجاء والصبر بمثابة أسلحة. طبعاً، تتمنى ألّا تسقط أبداً في تجربة، لكن عندما يسمح الله بها فلا تحزن ولا تقلق ولا تضطرب، اعمل ما بوسعك حتى تبدو جنديًّا حقيقيًّا للمسيح.

ألا ترى أنّ الجنود الشجعان، عندما يدعوهم البوق إلى المعركة متطلّعاً به إزاء الشر أعلاه. إكرهوا الشر بلا مهادنة، ولازموا الخير بلا انقطاع، يقول لنا القديس الرسول. أما تعداد أعمال الخير في الآيات الأربع التالية فبعض إرشادات عملية متى لازمها الإنسان بقيَت محبته وبالتالي فضائله مُحَصَّنة من كل شر ورياء.

حول التواضع

الرهبنة جناح الكنيسة الذي لا يكلّ ولا يملّ من الصلاة. الكنيسة بجناحيها الرهباني والمدني تسمو نحو الكمال الروحي والحياة الأبديّة.

منذ نشأتها شكّلت الرهبنة بيئةً محافظة لا تتداخل مع نمطها الهموم اليوميّة والمعيشيّة، تتعاطى بالحد الأدنى مع الأمور العالميّة والدهرية مركّزةً على البعد الروحيّ بدل الماديّ. بسبب هذا الجوّ المحصّن أدّت الرهبنة عبر التاريخ دوراً هامّاً في الحفاظ على التقليد إن من ناحية العقيدة القويمة أو من ناحية الطقوس اللّيتورجيّة. إلى ذلك لا ننسى الدور الهام الذي لعبته الأديار في خضمّ الحروب حيث حُفظت في الأديار الأيقونات والكنوز الروحيّة من رفات قدّيسين وذخائر مقدّسة. إستمراريّة هذه الأديار أتت مع طغمة رهبانيّة أنجبت للكنيسة شهداء ومعترفين تقدّسوا من خلال الإيمان الذي تحلّوا به وكثيرون ظهرت قداستهم مذ كانوا بعد في هذه الدنيا. فالراهب يحيا حياةً تختلف عن الحياة التي يحياها المؤمن في العالم ويحميه نظام الدير إلى حدٍّ كبير من التأثيرات التي قد تعترضه في جهاده.

الراهب الذي يجاهد في سبيل إرضاء الله لا يستهويه الكلام. الصمت والوداعة يغذّيانه ويقوّيانه في هذا الجهاد. يبتغي الراهب العزلة والحياة النسكيّة غير العلنيّة في بحثه عن الحياة مع المسيح وبهذه الطريقة، بعيداً عن الصخب والإجتماعيّات، يتمتّع بحلاوة الشركة مع المسيح. في عزلته الأرضيّة يتمتّع الراهب بنِعَمٍ سماويّةٍ، ويشعر في قلبه المتواضع بأنّ تحوّلاً ما ناتجاً عن النعمة يحصل. ما يشعر به الراهب في تلك اللّحظات، وإن حاول أن يعبّر عنه بالكلام، لا يتمكّن من التعبير عنه بالكليّة. عظمة هذه النِعَم تُشعر الراهب بما يفوق الطبيعة والإدراك، فتعجز الكلمات عن وصف العطايا الإلهيّة وصفاً كاملاً. لهذا السبب يسعى الرهبان المتقدّسون إلى عدم البوح بهذه النِعَم السماويّة التي يتذوّقونها في حياتهم الأرضيّة كما أنّهم يجدون صعوبةً في البوح بها ليتجنّبوا المجد الباطل.

بالرغم من أنّ هذه النِعَم يصعب النطق بها والتعبير عنها بالكليّة، يعبّر عنها أحياناً بعض الآباء عن غير قصدٍ. أحياناً يتواجد بعض الآباء في اجتماعات روحيّةٍ فيخبرون عن أحداثٍ حصلت معهم حقيقةً فتأتي هذه الروايات عاديّة إلاّ أنّ المؤمن يلاحظ بأنّ هذا ليس بالأمر العادي بل هو افتقادٌ سماويّ. قد يتكلّم أحدهم عن حدثٍ من خبراته اليومية بشكلٍ عاديّ إلّا أنّ المؤمن السامع له يفهم أنّ هذا ليس بالأمر العاديّ وإنّما حياة القداسة التي ينعم بها المتكلّم تجعله بتواضعه يتحدّث عنها وكأنّها أمورٌ عاديّة. يعبّر الراهب عن هذه الأحداث لا إراديّاً

وبشكلٍ غير مبـاشر دون الدخول في التفاصيل لأنّه لا يبغي التفاخر.

على سبيل المثال قال راهبٌ ذات مرّة: ما هذا الذي يحصل لي؟ كنت أطلب الغفران ولكنّ ما تلقّيته بعيدٌ بالكليّة عن الرحمة والغفران. كنت أطمح لبلوغ القليل من السكون ولكن السلام الذي نلته يفوق الوصف. إنّي مدركٌ بأنّي كإنسان، مخلوقٌ لأتلقّى وأعطي محبّةً ولكنّ الحبّ الذي نلته في تلك اللّحظة يفوق كلّ توقّعٍ. كنت أجاهد لأتعلّق بأملٍ ما ولكنّ ما وجدته هو الهدوء الملموس أي السعادة الحقيقيّة. وهو كان يتحدّث عن العجائب الإلهيّة التي يعاينها بأمّ العين.

في حادثةٍ أخرى تنكّر مرّةً شيطانٌ بزيّ ملاك الرب وذهب إلى ناسكٍ متواضعٍ متقدّس آملاً في تجربته وإيقاعه في مكيدته بهدف زرع بذرة تفاخرٍ في نفسه. قال له : أنا ملاك الرب وقد جئت لأساعدك في جهادك المقدّس ولأقول لك بأنّ الربّ راضٍ عن تقدّمك الروحي. لكنّ الناسك المتواضع الذي كان يتمتع باليقظة والوعي الروحي إمتلك معرفة الضعفات البشريّة فأجاب ببساطةٍ كليّة ودون أيّ اضطرابٍ لا بدّ أن أنك مخطئ. إنّي غير مستحقٍّ لأن يزورني ملاك الرب. لا بدّ أنّه وجب أن تزور شخصاً آخر وأتيتني خطأً. عند هذه الإجابة خزي الشيطان وفشلت تجربته أمام تواضع الناسك.

المؤمن على غرار الراهب يتساءل عن كلّ الأمور الصالحة التي تحصل له والتي قد تفوق الإدراك أحياناً. هل هي عن طريق الخطأ؟ معظم هذه الأفكار تدفعنا إلى الضلالة. فالله ينعم علينا يوميّاً بخيراته وهو المعتني بخليقته. لا يكتفي بالتقدمة بل إنّه منتظرٌ توبة أيّ شخصٍ ليحتضنه كالأب كما في مَثَل الإبن الشاطر. هذه العناية والعطاء والرحمة التي يظهرها الله تجاه خليقته يعبّر عنها الإنجيلي يوحنا بأنّ «اللّه محبّة» (١يو ٤: ٨). المسيحيّ المؤمن يحيا سرّ المحبّة الإلهيّة في حياةٍ قاحلة، حياة الجسد الفاني. محبّة الله من خلال الروح القدس تجعلنا مستحقّين للمشاركة في حياة الشركة كأعضاء في الكنيسة المقدّسة. المتواضع يدرك أنّه غير مستحقٍّ لهذه المشاركة بسبب ضعفاته وخطاياه إلاّ أنّه على علمٍ بأنّ رحمة اللّه العظيمة هي السبيل الوحيد لبلوغ هذه الشركة.

فرح المؤمن وبهجة الحياة الروحيّة هي في المسيح يسوع الذي ينتظر كلاً منّا للإنضمام إلى كنيسته. هو يدعونا إلى هذا الشرف ويستقبلنا بمحبّة ورحمة. ونحن نغتذي من جسده مقوّياً إيّانا في جهادنا الروحي.

عيد مار الياس

بمناسبة عيد النبي الياس التسبيتي تُقام خدمة صلاة الغروب عند السابعة من مساء الأحد ١٩ تموز في كنيسة دير مار الياس بطينا، وخدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح الإثنين ٢٠ تموز في كنيسة مار الياس في المصيطبة.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www .quartos.org.lb

إلى النصر، كيف يتذكّرون أسلافهم المجيدين الذين قاموا بأعمالٍ باهرة كبيرة وانخرطوا في الجهاد بشجاعة؟ وأنت أيضاً مثلهم، عندما تأتي ساعة المعركة الروحية، تذكّر إنجازات الشهداء القديسين الباهرة وجاهد بشجاعة وحماس وإيمان وفرح.

إذاً، ألا يستطيع المسيحي أن يحزن أبداً؟ نعم، ولكن فقط عندما يسير هو أو قريبه بعكس الله ومشيئته المقدّسة. تالياً، يجب ألّا يحزن ويتألّم أولئك الذين يُساء إليهم بالكلام، بل أولئك الذين يسيئون الكلام، الأوّلون لن يُحاسبوا على كلّ ما قيل بحقّهم، بل أولئك الذين تكلّموا بالسوء على غيرهم. هؤلاء يجب أن يرتعدوا ويقلقوا لأنّهم، عاجلًا أم آجلًا، سيُساقون إلى حكم الله الرهيب، حيث سيُحاسبون على كلّ ما تفوّهوا به من كلامٍ سيِّئ، وأولئك الذين أُسيء إليهم بالكلام، يجب أن يخافوا أيضاً إن كان كلّ ما قيل عنهم صحيحاً.

القديس يوحنا الذهبي الفم